محاضرة رقم: 9	
الكلية	التربية للعلوم الانسانية
القسم	الجغرافية
المادة	تاريخ الوطن العربي الحديث
المرحلة	الثالث
السنة الدراسية	2021-2020
الفصل الدراسي	الاول
المحاضر	م.م. علي جاسم محمد خليفة
عنوان المحاضرة باللغة العربية	نشاط محمد علي باشا في الشام والعراق
عنوان المحاضرة باللغة الانكليزية	The activity of Muhammad Ali Pasha in the Levant and Iraq
المراجع والمصادر	ابراهيم خليل احمد ، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني 1516-1916
	سيار كوكب الجميل ، تكوين العرب الحديث
	اسماعيل احمد ياغي ، العالم العربي في التاريخ الحديث

نشاط محمد علي باشا في الشام والعراق :

اتجهت القوات المصرية نحو الشام بقيادة إبراهيم باشا فسيطرت عليها سنة 1831 بمعونة الأمير بشير الشهابي ، وقد اوضح إبراهيم باشا هدف حملته إلى الشام في رسالة وجهها إلى محمد باشا والي حلب ، جاء فيها أن هدف الحملة (انتزاع بلاد العرب وما يجاورها وإنقاذ الأمة ... من المصائب التي ابتليت بها) ويؤكد هذا الهدف في رسالة مماثلة لوالده يقول فيها : إن على المرء ان (يضحي بحياته في سبيل قومه وعشيرته)وقد كان القنصل الانكليزي باركر أكثر وضوحا عندما رأى سنة 1832 أن جيش محمد علي قد بدأ فعلا مهمة تحرير العرب وتوحيدهم في دولة عربية ، وفي 8 كانون الثاني 1832 كتب إلى حكومته يقول : إن غرض محمد علي المباشر هو توطيد سلطته في بلاد الشام ومدها فيما بعد إلى العراق وكل الولايات التي تتكلم العربية .

لقد كان الوطن العربي بحاجة إلى من يحرك في وجدانه القومي عامل التحرر والانعتاق لكي ينتفض ويثور ويتخلص من النير العثماني ، وقد حاول محمد علي الاستفادة من هذا الشعور والعمل من أجل فصل الولايات العربية عن الامبراطورية العثمانية .

أحدث طرد العثمانيين من الشـام تغييرات عديدة ، مهدت السـبيل لتحديث الشـام وتهيئتها لتصبح الأرضية التي شهدت بدايات الحركة القومية في العصر الحديث ورغم قصر فترة الحكم المصري (1831 – 1840) فإن إبراهيم باشا أنجز سلسلة من الاصلاحات منها توطيد الأمن ، ووضع حد لهجمات العشائر على المدن ، وتحديد الأسعار ، والتشديد في أمر التجنيد الإجباري وتنشيط التجارة وإنشاء المدارس وجعل التعليم فيها باللغة العربية ، وإرسال البعثات إلى مصر وإقامة المستشفيات فضلا عن تحطيم سلطة بعض المشايخ والاقطاعيين غير المتعاونين معه مثل آل الحرفوش في بعلبك وإقامة نظام إداري يعتمد المساواة السياسية والاجتماعية بين الجميع بغض النظر عن الفوارق الدينية والمذهبية والعرقية كما بذل جهدا كبيرا في محاربة الرشـوة والفساد والمحسوبية ، واعتمد مبدأ المشورة في الحكم وألف في كل مدينة يزيد عدد سكانها على عشرين ألف نسمة مجلسا يسمى (ديوان المشورة) يتراوح عدد أعضائه بين (12 – 21) عضوا ينتخبون من بين أعيان البلاد وتجارها وقد سمح إبراهيم باشا للإرساليات التبشيرية الأجنبية بتأسيس مراكز ثابتة لهم في لبنان ومن أشهرها الإرسالية الأمريكية 1834 والارسالية اليسوعية سنة 1839 وقد لعبت تلك الارساليات فيما بعد دورا كبيرا في الصراع الطائفي الذي نشب بين الدروز والموارنة أثر جلاء المصريين عن الشام وعودة الحكم العثماني المباشر .

بدأ محمد علي يفكر بالتوجه نحو العراق وقد اتخذ هذا التوجه كما أشرنا إلى ذلك من قبل الأشكال التالية :

1- تشـجيع النزعات الاسـتقلالية عن الدولة العثمانية في العراق وتقديم الدعم لها وربطها بالسياسة المصرية كما حدث بالنسبة لوالي الموصل يحيى باشا الجليلي .

2- إجراء اتصالات وتنظيم علاقات مع جهات رافضة للسيطرة العثمانية في العراق وبشكل خاص صفوك شيخ عشائر شمر الجرباء ومحمد باشا أمير راوندوز وعدد من زعماء البصرة وشيوخ المنتفك .

لقد كان ضم العراق جزءا من طموح محمد علي باشا فيما يتعلق بالخطط الستراتيجية المستقبلية ، وكان يجيب إبراهيم باشا كل من ينكر عليه عروبته بقوله : (أنا لست تركيا ، فإني جئت مصر صبيا ومنذ ذلك الحين قد مصرتني شمسها وجعلتني عربيا) وهنا يعبر إبراهيم باشا عن شعوره بالمسؤولية تجاه مصر ودورها في توحيد الأرض في دولة حديثة واحدة قوية مستقلة .

لقد أدركت بريطانية خاصة والدولة الاستعمارية عامة خطورة هذا الوعي القومي العربي وهذا التحرك ، فبريطانيا كانت ترى في ظهور أية قوة قومية في المنطقة خطرا يهدد نفوذها ، وكان ما يخشاه الانكليز هو نجاح محمد علي في الوصول إلى منطقة الخليج العربي والعراق بعدما نجح في التمركز على شواطئ البحر الأحمر والشام ، وتهديد الوجود البريطاني في منطقة الخليج العربي المؤدية إلى الهند من ناحية أخرى ، والى شيء من هذا تشير تعليمات بالمرستون ووزير خارجية بريطانية إلى كامبل القنصل البريطاني العام في القاهرة في 8 كانون الأول سنة 1837 بأن يتقدم لإبلاغ محمد علي بنوع من الصداقة بعبارات شديدة ، أن الحكومة البريطانية سوف تأسف لرؤية أية خطوات تتخذ من جانبه مما قد يشير إلى وجود نية لديه لكي يندفع بسلطته صوب بغداد ، ثم لم يلبث أن كتب إلى كامبل طالبا منه استخدام لهجة أقوى مع محمد علي بأن يبلغه (.. إن تقارير وصلت إلى الحكومة البريطانية عن تحركات قواته في سوريا وشبه الجزيرة العربية ، مما يبدو أنه يشير إلى نوايا من جانبه لمد سلطته نحو الخليج العربي وباشوية بغداد ، ومن ثم ينبغي أن تقرر بصراحة للباشا أن الحكومة البريطانية يمكنها أن تغض الطرف عن تنفيذ مثل هذه النوايا ...) .

كان بالمرستون يرى كذلك أن التحرك المصري قد يحمل روسيا على التدخل في المنطقة الغربية تدخلا مباشرا ، فيصير المشرق العربي ميدانا تصطرع فيه قوى مصر وروسيا والدولة العثمانية ، وتضيع في خضم هذه الصراعات المصالح البريطانية ، ولم تقبل بريطانيا فكرة محمد علي وابنه إبراهيم المنطوية على أن قيام دولة قوية في المنطقة سوف لا يسمح لروسيا بالتدخل ، ولما لم تكن بريطانيا لتشجع على ظهور مثل هذه الدولة القوية وتريد أن تظل المنطقة ضمن إطار نفوذها تدخلت من أجل عقد صلح ((كوتاهية)) سنة 1833 بين مصر والدولة العثمانية وقد نص هذا الصلح على إسناد حكم الشام وادنه وكريت والحجاز لمحمد علي وجددت ولاية إبراهيم باشا على جدة ، وكان هذا الصلح بمثابة هدنة مسلحة بين الطرفين ، وخلال هذه الفترة بحث السلطان العثماني عن حليف قوي يقف إلى جانبه ضد مصر ، وكانت فرنسا تنظر بعين العطف والتأييد لانتصارات محمد علي على اعتبار أن توسعه سيضعف النفوذ البريطاني في المنطقة العربية وهي نفسها تريد أن تتوسع على حساب الدولة العثمانية وخاصة في الجزائر التي احتلتها سنة 1830 كما سنرى ، لذلك حث السلطان العثماني بريطانيا على التحالف معه ، ولكنها رفضت ، فاتجه إلى روسيا فأسرعت هذه بعقد اتفاقية (خنكار سكلة سي) معه في 8 تموز سنة 1833 وهي اتفاقية هجومية دفاعية موجهة ضد التوسع المصري .

لم تجد بريطانيا في مثل تلك الاتفاقيات إلا ما يهدد مصالحها ، وأسرعت تتخذ الخطوات المناسبة لا بمواجهة التوسع المصري في المشرق العربي فحسب ، بل بمواجهة النتائج المترتبة على قيام روسيا بدور حامية الدولة العثمانية أيضا .

أجبرت شيوخ الساحل العماني على توقيع تعهدات خطية بوجوب التعاون مع السلطات البريطانية والكف عن مساعدة القوات المصرية ولم يقف الأمر عند ذلك بل هددتهم إذا ما انضموا إلى القائد العثماني بتدمير سفنهم وتحصيناتهم البحرية ، كما منعت سلطان مسقط وحكام البحرين من التعاون مع المصريين واستولت على عدن سنة 1839 وأنزلت بعض البواخر في أنهار العراق لتمنع أي اتصال بين العراقيين والمصريين ، وشجعت السوريين على التخلص من الحكم المصري ، وحرضت الدولة العثمانية على خوض الحرب ضد المصريين من الشام ، فتجدد القتال سنة 1839 ووقعت معركة نزيب بالقرب من نصيبين وفيها انتصر الجيش المصري بقيادة إبراهيم باشا واحتل المصريون المرتفعات المسيطرة على المواقع العثمانية وبعد ستة أيام من موقعة نزيب توفي

السلطان محمود الثاني ، وبعد ذلك بأسبوعين انضم الأسطول العثماني برمته بقيادة الأميرال أحمد فوزي باشا إلى جانب محمد علي وذكر أحد المؤرخين أن الدولة العثمانية فقدت سلطانها وجيشها وأسطولها خلال ثلاثة أسابيع ، ومع ذلك لم يعبر المصريون جبال طوروس وتوقفوا عند حدود احتلال الرها ومرعش خوفاً من وقوع تدخل روسي .